

السيدة نفيسة رضي الله عنها

كانت عليه من التعبّات. قالت زينب بنت أخيها: تألمت عمّتي في أول من رجب، وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤمن كتاباً، وكان غائباً بالمدينة، تطلب إليه في المجيء إليها وموافاتها؛ لإحساسها بدنوّ أجلها، وفراقها لدنياها، وإقبالها على آخرها، وما زالت متوّكة إلى أن كان أول جمعة من شهر رمضان، فزاد عليها الألم وهي صائمة، فدخل عليها الأطباء، فأشاروا عليها بالإفطار لحفظ قوّتها، ولتتغلّب على مرضها وضعفها، فقالت: واعجبا، إنّ لي ثلاثين سنة وأنا أسأل الله عزّ وجلّ أن يتوفّاني وأنا صائمة، أفأفطر؟! معاذ الله تعالى، ثم أنشدت يقول: اصرفوا عنّي طيّبي *** ودعوني وحبّبي زاد بي شوقي إليه *** وغرامي في لهيب طاب هتكّي في هواه *** بين واش ورقيب لا أبالي بفوات *** حيث قد صار نصيبي ليس من لام بعذل *** عنه فيه بمصيب جسدي راض بسقمي *** وجفوني بنحبي فانصرف الأطباء وهم معجبون بقوّة يقينها وثبات دينها، وسألوها الدعاء، فقالت لهم خيراً ودعت لهم. وقالت زينب: ثم إنّه بقيت كذلك وقد أفترها الداء إلى العشر الأوسط من شهر رمضان، فاشتدّ بها المرض واحتضرت، فاستفتحت بقراءة سورة الأنعام، فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: (قل الله كتب على نفسه الرحمة) ففاضت روحها الكريمة. وقيل: إنّها قرأت: (له دار السلام عند ربّهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون) فغشي عليها. قالت زينب: فضممتها إلى صدري، فإذا بها تشهد شهادة الحقّ، وقُبِضت، واختارها الله لجواره، ونقلها إلى دار كرامته، وكان ذلك في سنة ثمان ومائتين، وذلك بعد موت الإمام الشافعي بأربع سنين رحمهم الله جميعاً. وما أحسن ما قال بعضهم في خروج روحها رضوان الله عليها: روح دعاها بالوصال حبّيبها *** فأنت إليه مطيعةٌ ومجيبةٌ يا مدّعي صدق المحبّة هكذا *** صدق المحبّ إذا دعاه حبّبه وقد أوصت السيّدّة نفيسة رضي الله عنها أن لا يتولّى أمرها غير بعلمها، وكان مسافراً،